الروم وملحمتهم

روى مسلم في صحيحه بما نصه: «حدثنا عبد الملك بن شُعيب بن اللَّيْث، حدثني عبد الله بن وَهب، أخبرني الليث بن سعد حدثني موسى بن علي عن أبيه قال: قال المُسْتَورد القرشي: عن عمرو بن العاص: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**تقوم الساعةُ والرومُ أكثر الناس**»، فقال له عمرو: أَبْصِرْ ما تقول، قال: أقولُ ما سمعتُ من رسول الله ﷺ، قال: لئن قلتَ ذلك إن فيهم لخصالاً أربعاً: إنهم لأَحْلَمُ الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقةً بعد مصيبة، وأَوْشَكُهم كَرَّةً بعد فَرَّة، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسةٌ حَسَنَةٌ جميلة: وأَمْنَعُهُم من ظلم الملوك»[1].

وفي رواية: «حدّثني حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى التُّجِيبِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ. حَدَّثَنِي أَبُو شُرَيْحٍ أَنَّ عَبْدَ الْكَرِيمَ بْنَ الحرث حَدَّثَهُ أَنَّ الْمُسْتَوْرِدَ الْقُرَشِيَّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ**». قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ فَقَالَ: مَا هَذِهِ الأَحَادِيثُ الَّتِي تُذْكَرُ عَنْكَ أَنَّكَ تَقُولُهَا عَنْ رَسُولِ اللهِ؟ فَقَالَ لَهُ الْمُسْتَوْرِدُ: قُلْتُ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ. قَالَ: فَقَالَ عَمْرٌو: لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ، إِنَّهُمْ لأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ. وَأَجْبَرُ النَّاسِ عِنْدَ مُصِيبَةٍ، وَخَيْرُ النّاسِ لِمَسَاكِينِهِمْ وَضُعَفَائِهِمْ»[2].

---

(1) صحيح مسلم 8/ 176.

(2) السابق 8/ 176، 177.

كلام للنووي:

وننقل ما ذكره النووي حول الحديثين هاهنا، ثم نشير إلى ما يفيد في هذا الباب؛ قال: «قوله: حدثني أبو شريح أن عبد الكريم بن الحارث حدثه أن المستورد بن شداد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تقوم الساعة والروم أكثر الناس**» هذا الحديث مما استدركه الدارقطني على مسلم وقال عبد الكريم: لم يدرك المستورد فالحديث مرسل قلت: لا استدراك على مسلم في هذا، لأنه ذكر الحديث محذوفه في الطريق الأول من رواية علي بن رباح عن أبيه عن المستورد متصلاً، وإنما ذكر الثاني متابعة وقد سبق أنه يحتمل في المتابعة ما لا يحتمل في الأصول وسبق أيضاً أن مذهب الشافعي والمحققين أن الحديث والجواب إذا روي من جهة أخرى متصلاً احتج به وكان صحيحاً، وتبينا برواية الاتصال صحة رواية الإرسال ويكونان صحيحين بحيث لو عارضهما صحيح جاء من طريق واحد، وتعذر الجمع قدمناهما عليه. قوله في هذه الرواية: (وأجبر الناس عند مصيبة) هكذا في معظم الأصول و«أجبر»: بالجيم وكذا نقله القاضي عن رواية الجمهور، وفي رواية بعضهم: «وأصبر» بالصاد قال القاضي: والأول أولى لمطابقة الرواية الأخرى: «وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة» وهذا بمعنى أجبر وفي بعض النسخ أخبر بالخاء المعجمة ولعل معناه: أخبرهم بعلاجها والخروج منها»[1].

تعقيب:

أقول: لقد أبدي عمرو بن العاص رأيه في الروم بما عهده عنهم آنذاك، ولا ننكر أن رأيه سديد، فهم بالنسبة إلينا عمالقة في السياسة وفي الفهم السياسي اليوم، غير أنهم ليسوا كذلك أمام المتنورين الواعين من أبناء هذه الأمة، بل هم أقزام في خططهم مهما تراءى للرائي في شأن ما يحيكون وما

(1) شرح النووي على صحيح مسلم 18/ 23، 24.

يدبرون، ولا ينخدع بهم إلا البسطاء من الأمة الذين يفكرون سطحياً ولا يتبعون منهلاً عذباً ولا رِياً.

ويفيد الحديث الأول إفادة بالغة في أن المسلمين يكونون قلة بين الناس في آخر الزمان، وذلك بناء على أحداث جسام وفتن وملاحم يشيب لهولها الولدان. ويقع في غالب الظن هاهنا أن هذا الوضع بين يدي الساعة مباشرة بعد أن يصبح كوكب الأرض يموج بالفساد ويذهب الإمام الراعي، ولا يبقى ظل للشرع في الأرض، ويكون هذا بعد موت عيسى عليه الصلاة والسلام بزمن، ثم خروج آيات الساعة الكبرى المجلية التي منها خروج الريح التي تقبض كل نَسَمَة مؤمنة فلا يبقى إلا ذوو الضلال والفساد، وعندها يظهر الروم هذا الظهور إلى أن تقوم عليهم الساعة كما في الحديث، ولا ينطبق رأي عمرو بن العاص على هذا الوضع بناء على أحاديث مروية في هذا الصدد عن الناس الذين يكونون بين يدي الساعة كما سيأتي بعضها.